جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

السنة الأولى ماستر

السنة الجامعية 2023- 2024

محاضرات مقياس: تطور النظام السياسي بالجزائر 1519- 1830.

المستوى: الأولى ماستر

اعداد: د. عمريوي فهيمة

المحاضرة الأولى: الأوضاع في المغرب نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر

يمثل القرن 16م نقطة تحول هامة سواء بالنسبة للدولة العثمانية أو بالنسبة للعالم الأوروبي أو للمسلمين في الأندلس والمغرب وأهم النقاط التي سنركز عليها هي:

- الاحتلال الاسباني لمعظم المدن السّاحليّة.
- ظهور الإخوة بربروسة بالمغرب.
- ظهور الدّولة العثمانيّة كقوّة إسلاميّة قادرة على الوقوف في وجه الاحتلال الإسباني.
- سقوط الأندلس.

كان عالم البحر الأبيض المتوسّط خلال القرن 16 مسرحا لمواجهة عنيفة بين عالمين مختلفين من حيث القوة والانتماء الحضاري فنجد عالم قوي يوجد في الضفة الشّماليّة من البحر المتوسّط وعالم ضعيف يوجد في الضفة الجنوبية للمتوسط.

بدأت الأوضاع تتدهور في المغرب الإسلامي بضعف وانقسام ثمّ سقوط دولة الموحّدين (1130- 1269)، حيث نتج عن هذا السقوط ظهور ثلاث دويلات وهي:

- الدّولة الزّيانيّة (1236- 1550) بالجزائر وعاصمتها تلمسان.
- الدّولة المرينيّة (أواسط القرن 13- 1420) بالمغرب الأقصى.
- الدّولة الحفصيّة (1229- 1574) بتونس.

أدى هذا الوضع إلى دخول الدّويلات الثّلاث في صراع فيما بينها من أجل اقتسام المغرب، ورغبة كل دولة في السيطرة على المغرب بأكمله، وقد كانت هذه الصراعات استنزافا واضحا لخيرات هذه الدويلات وأدت تدهورها في جميع المجالات، فمن الناحية السياسية انقسمت البلاد إلى مجموعة من الإمارات والمشيخات والقبائل المستقلة منها مشيخة الجزائر التي تتصدرها قبيلة الثعالبة وإمارة كوكو التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى. أما القسم الشرقي من بلاد القبائل فكان تابعا للأمير عبد العزيز الحفصي. وبالتالي اقتصر حكم ملوك بني زيان على تلمسان. وقد أثر هذا الوضع على الجانب الاقتصادي فتراجعت الزراعة والتجارة لانعدام الأمن. وقد تعرض العديد من المؤرخين إلى

وصف الأوضاع في المغرب منهم شارل أندري جوليان الذي ذكر أن بلاد المغرب أصبحت عبارة عن فسيفساء سياسية". وعن هذا الوضع كتب فرنادوا دي زافرا الذي كان كاتبا بالبلاط الاسباني "أن بلاد المغرب تجتاز بأكملها حالة انهيار نفسي يبدوا أن الله أراد منحها لصاحبي الجلالة" كما تردى الوضع الاقتصادي نتيجة هذه الحروب والصراعات حيث ذكر العروي في كتابه تاريخ المغرب "أنه في الوقت الذي عرفت فيه بلدان البحر الأبيض المتوسط الغربية النهضة، الاكتشافات العظمى، التوسع الاستعماري دخلت البلدان المغربية بنوع من التلازم السلبي في نوع من العصور الوسطى نبضت في غضونها التجارة وتراجعت الزراعة وتبددت السلطة" ومنه فإن هذا الوضع شجع على الأطماع الإسبانية والبرتغالية.

فمع مطلع القرن 15م تعرضت بعض دول المغرب إلى الاحتلال من قبل إسبانيا والبرتغال، فكانت مدينة تِطْوَان أوّل مدينة احتلت عام 1400، ثمّ تلتها مدن أخرى نذكر منها: سبتة عام 1415، القصر الصغير سنة 1465، الدار البيضاء سنتي 1468- 1469، ثمّ أسيلا وطنجة عام 1471.

وبقي الصراع بين إسبانيا والبرتغال حول اقتسام مناطق المغرب الإسلامي إلى أن تدخّل البابا الكسندر السادس (Le Pape Alexandre VI) (1492- 1503)، ووضع حدا له، حيث عقد معاهدة توردیسلاس عام 1494، بطلب من الملكة إيزابيلا (1474- 1505) زوجة الملك فرديناند الخامس (1452- 1516)، ونصت هذه المعاهدة على تقسيم مناطق المغرب بين اسبانيا والبرتغال، فكل ما يقع شرقا صار حجر بَادَسْ لإسبانيا، وكل ما يقع غربه للبرتغال، وهكذا صارت إسبانيا حرّة دون منازع، فقامت باحتلال معظم المدن الساحلية للمغرب العربي، ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين إسبانيا ودول المغرب.

ظهرت في هذه الفترة قوّة في آسيا تتمثل في الدولة العثمانية التي غيرت موازين القوى وأصبحت المنقذ للوضع في الحوض الغربي للمتوسط.

سقوط غرناطة وملاحقة الأندلسيين:

كان لفتح القسطنطينية من قبل محمّد الفاتح صدمة كبيرة تلقاها العالم المسيحي. ولهذا لم يلبث وبدأ يفكر في كيفية الانتقام، وكان البابا في طليعة ممّن نادوا بوجوب شنّ حملة صليبيّة على المسلمين والإسلام. وأيضا الملكة إيزابيلا التي تركت وصية قبل وفاتها تحرض فيها على احتلال إفريقيا جاء فيها عليكم بفتح افريقيا وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين ضد الكفار".

ففي عام 1490، وصل الملك فرديناند بجيش تعداده 50000 رجل إلى غرناطة، وبعد حصار دام سبعة أشهر سقطت أخر مدينة إسلامية في الأندلس و سلّم أبو عبد الله الغرناطي (1482- 1492) المدينة للإسبان في 2 جانفي 1492، حيث وقع معاهدة تسليم المدينة مقابل تعهد الملك فرديناد بحماية الممتلكات وعدم التعرض للسكان واحترام دينهم وثقافتهم. وعموما فإن سنة 1492 مهمة في تاريخ أوروبا عامة وتاريخ الاسبان على وجه الخصوص. حيث كانت أوروبا في غمرة النصرين في هذه

الفترة اكتشاف العالم الجديد من طرف كرستوف كولومب والقضاء على أخر معقل للمسلمين بالأندلس.

اتجه أبو عبد الله أوّلا إلى قشتالة، ثمّ رحل إلى وهران (1493)، ومن وهران إلى تلمسان أين توفي عن عمر في ماي من السنة الموالية (1494). إلاّ أنّ سقوط غرناطة لم يشف غليل الإسبان، بل واصلوا عملهم في مطاردة المسلمين بالرغم من أنّ معاهدة "الاستسلام" التي أمضاها أبو عبد الله مع الملك فرديناند الخامس قد نصّت على احترام المسلمين وحرية العقيدة، خاصّة عندما تولى الكردينال حيمينس منصب رئيس الوزراء لدى بلاط الملك فرديناند. إذ قام بإلغاء المعاهدة المذكورة لأنه رأى فيها "منافية للديانة المسيحية"، و "لا يمكن قَبُولْ كفرة "Infidèle" بإسبانيا، ولا بدّ من تنصير "هؤلاء" ولو بالقوة". وتواصلت عملية ملاحقة المسلمين بحيث تم في عام 1499 نصّر 4000 مسلم من غرناطة بالقوة وهو ما سمّي بحرب الاسترداد La reconquista .

وبالتالي كان على مسلمي الأندلس إما اعتناق المسيحيّة، أو الرّحيل و الهجرة. وتجدر الإشارة إلى أنّ اليهود أيضا تعرضو لنفس المعاملة وعانوا من محاكم التفتيش، فبعد مرور شهرين من سقوط غرناطة، أي في 31 مارس 1492، أمضى الملك فرديناند الخامس وزوجته الملكة إزابيلا معاهدة مع اليهود نصت على عدة أمور منها ضرورة مغادرة اليهود لإسبانيا، ومنحت لهم مهلة أربعة أشهر لأجل تدبير أمورهم وبناء عليه غادر اليهود اسبانيا بأعداد كبيرة بحيث اتجه البعض نحو الدّولة العثمانيّة، والبعض الأخر اختار دول المغرب ومنهم بقي فتم تعُميده.

الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية:

شجع سقوط غرناطة اسبانيا على التفكير في التوسع في بلاد المغرب. بحيث اعتبرت أنه من الضروري نقل الحرب إلى بلاد المغرب بهدف حصاره حتى لا يتم إعادة فتح الأندلس من المغرب. خاصة وأن مناطق ساحلية عديدة شهدت كثرة توافد المهاجرين الأندلسيّين من هذه المدن نذكر: الجزائر، تنس، القليعة، بجاية، جيجل، وهران، مستغانم. شرشال، هذه الأخيرة التي ذكرها بيري رايس في كتابه بحريه بأنه الأندلسين استقروا في عدة من ساحلية منها مدينة شرشال، وكانوا مهرة في صناعة السّفن. أخذت هذه الحروب صبغة دينية أي صراع بين الصليب والهلال أو بين الإسلام والمسيحية وهذا نظرا للمساهمة الكبيرة للبابا ألكسندر السادس في هذه الحروب حيث حث جمع البلاد المسيحية على وضع إمكانياتها البشرية والمالية تحت تصرف اسبانيا لإبعاد خطر المسلمين.

أما الملكة إزابيلا فقد عرفت بكونها كانت تكن حقدا وكراهيّة كبيرين للإسلام والمسلمين، وظهر جليا من خلال وصيتها التي تضمنت ما يلي: " عليكم بفتح إفريقيا وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين ضد الكفار" والأكيد بروز الجانب الديني في هذه المقولة.

أما بالنسبة للمدن الجزائرية التي احتلتها إسبانيا فتمثلت في:

1. **المرسى الكبير:** يتميز هذا الميناء بقربه من مدينة وهران وقربه من اسبانيا أيضا لذلك كان الهدف الأول للإسبان وأول نقطة قاموا باحتلالها وكان ذلك في **11** سبتمبر **1505**، بقيادة "دون

ريمون ي قرطبة. حيث وصل الأسطول الإسباني للمرسى الكبير بما يقارب 5.000 جندي ودام الحصار 50 يوما، حاولت الحامية التي كانت تحرس برج المرسى الكبير، صدّ الهجوم الإسباني، إلاّ أنها لم تتمكّن نظرا لعدم تكافؤ وسائل الدفاع بين الطّرفين. حاول الملك الزياني تحرير المرسى الكبير لكن الاسبان كانوا قد تحصنوا بالمدينة فعملت الحامية الإسبانية بالمرسى الكبير إلى فتح سوق بالمدينة بهدف تأمين متطلبات الحامية وكسب متعاونين معها من التجار وغيرهم وهذه المجموعة خصها عبد القادر المشرفي بمؤلف عنوانه بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان كبني عامر.

2. **وهران:** بعد أربع سنوات من احتلال المرسى الكبير، وجهت اسبانيا أرمادة أخرى لاحتلال وهران وتم احتلالها في **15** ماي **1509**، بقادة الكرينال خيمينس وبمساعدة بيدرو نفارو Pedro de Navaro. وقد غادر خمنيس وهران بعد أن حول مساجدها إلى كنائس وترك بها حامية تتولى حمايتها وحماية المرسى الكبير ومملكة تلمسان. ومن نتائج هذه الحملة قيام الاسبان بشن غارات على القبائل المجاورة للمدينة وتمكنوا من اخضاعها.
3. **بجاية:** اتجهت أنظار الإسبان نحو الناحية الشرقية، فتم احتلال بجاية التي كانت أوضاعها السياسية مناسبة للإحتلال نتيجة الصراع العائلي على السلطة. بحيث وصل الأسطول الاسباني أمام مدينة بجاية في 5 جانفي 1510 وأنزل قواته المكونة من 20 سفينة تحمل 10.000 مقاتل أنزلتهم بالقرب من مكان كان آهلا بالأندلسيين الفارين من إسبانيا. لم يتمكن المدافعون عن حصن بجاية من الصمود أمام عدد وقوة العتاد الإسباني.

أحدث احتلال هذه المدن عدة نتائج منها تمكن اسبانيا من اتخاذ المرسى الكبير أوّل قاعدة عسكرية لها لانطلاق حملات أخرى على باقي المدن. وبخصوص مدينة وهران فقد تم تدميرها وقتل أكثر من **4000** شخص. أما عدد الأسرى فوصل لأكثر من **8000** شخص (نساء و رجال وأطفال) تم نقلهم لإسبانيا وبيعهم في أسواق العبيد. كما تم الاستيلاء على غنيمة قدّرت بـ **24000000** دينار جزائري، وسرقة الأسلحة والمخطوطات الناذرة وثرية للمسجد الكبير بوهران، وتحويل مسجدين إلى كنيستين، مع ضرورة الولاء والاعتراف بملك إسبانيا على هذه المدن ودفع ضريبة سنوية لإسبانيا. أما عن مدينة بجاية فقد تم ذبح ما يقارب 4100 أثناء المعركة وقام الجيش الاسباني بتخريب المدينة بأكملها ويظهر ذلك جليا في الوصف الذي قدمه التمجروتي عن هذه المدينة أثناء مروره عليها قاصدا الباب العالي.

استسلام بقية الموانئ.

بعد سقوط بجاية سارعت بقية الموانئ والمدن للاستسلام حتى لا تلقى مصيرا مماثلا للمدن التي قاومت. ومنهم مدينة الجزائر، فهذه الأخيرة كانت خلال القرن 16 تحت حكم قبيلة الثّعالبة أي أنها لم تكن لا حفصية ولا زيانية. وقبيلة الثعالبة هي قبيلة أتت من سهول متيجة واستقرت فيها خلال

القرن 15م، منها الولي سيدي عبد الرحمن الثّعالبي الذي كثيرا ما تنسب إليه مدينة الجزائر "مدينة سيدي عبد الرحمن"، وكان على رأس هذه القبيلة الحاكمة للجزائر آنذاك سليم التومي.

وهكذا اتجه سليم التومي إلى بجاية وأعلن ولاءه لحاكم إسبانيا هناك بيدرو دو نافارو (Pedro de Navaro) في 31 جانفي 1510. و من الشّروط الّتي فرضت على سليم التّومي:

- دفع ضريبة سنوية كلّ شهر جوان أو ما يعرف بضريبة الولاء.
- إطلاق "استرجاع" الأسرى المسيحيين الذين كانوا بالمدينة.
- بناء حصن فوق الجزر الصّغيرة الواقعة قرب مدينة الجزائر
- إضافة إلى كلّ هذا، فرض على سليم التومي التنقل والسفر إلى إسبانيا لإعلان تبعيّته إلى الملك الإسباني فرديناند الخامس. وبالفعل ذهب سليم التومي و معه حاكم تنس ابن عبد الله إلى إسبانيا، و معهم هدايا ثمينة و 130 أمير مسيحي.

بعد هذا الاستسلام كذلك، بني حصن على الجزر الصّغيرة القريبة من مدينة الجزائر، وكان في مكان برج صغير "برج الفنار"، على بعد 300م من المدينة كان الأندلسيّون الّذين فرّوا من إسبانيا قد بنوه خلال القرن 15م. سمّي هذا الحصن من قبل الإسبان Penon d'Alger وحسب الكتابات المعاصرة الفترة، كان قريبا جدا من المدينة كاتب جلبي "تحفة الكبار في أسفار البحار"، وعلى حدّ تعبيره: "يمكن إصابته بسهم". كان هذا الحصن بالنسبة لسكان مدينة الجزائر مثل شوكة غرست في القلب على حدّ تعبير مؤلف كتاب" غزوات عروج وخير الدين"، بحيث جعل سكان المدينة رهائن، منعهم من الخروج إلى البحر " رياس البر و البحار" وبمدافعهم المصوّبة اتجاههم.

بعد استسلام مدينة الجزائر جاء دور مدينة دلس ومستغانم في ماي 1511. ونصت معاهدة الإستسلام مع هذه الأخيرة على عدة شروط أهمها.

- اعلان تبعية جميع أهالي مستغانم لاسبانيا.

- يحق للقائد العام الاسباني بتلمسان احتلال قلاع وحصون المدينة إذا طلب منه صاحب الجلالة دون أي اعتراض من الأهالي.

- يلتزم أهالي المدينة بتموين مدينتي وهران والمرسى الكبير ولا يسمحون بتعمير أو تفريغ أي سفينة بمرسى مستغانم إلا بإذن من الملكين.

- على سكان المدينة إعلام القائد العام بكل ما يهم جلالتيهما الاطلاع عليه، وبكل ما يتعلق بسلامة وهران والمرسى الكبير، وعليهم والامتثال لكل أمر يلقى إليهم من أجل الحرب أو السلام.

- لا يلزم أهل المدينة على اعتناق الدين المسيحي، وسمح لهم الملكان بأن يستمروا في حكم أنفسهم حسب شريعتهم وتبقى لهم ديارهم وممتلكاتهم.

وفي 1512 استسلم حاكم تلمسان، وهكذا فإنّ أهم المدن التّابعة للدّولة الزّيانيّة سقطت في بد الإسبان.